

الرَّسَالَة ٢٥

الأعظمُ في ملكوتِ السَّمَوَاتِ

(Arabic - Greatest in the Kingdom of Heaven)

أحبائي.. مَوْضُوعُ حَدِيثِنَا الْيَوْمَ عَنْ: الأعظمُ في ملكوتِ السَّمَوَاتِ

ومن إنجيل متى الأصحاح الثامن عشرَ نقرأ الأعدادَ من الأول إلى الرابع:

في تلك الساعة تقدّم التلاميذ إلى يسوع قائلين: فَمَنْ هو أعظم في ملكوت السموات؟ فدعا يسوع إليه ولداً وأقامه في وسطهم وقال: الحقّ أقول لكم. إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد. فلن تدخلوا ملكوت السموات. فَمَنْ وضع نفسه مثل هذا الولد. فهو الأعظم في ملكوت السموات.^١

لست أدري ماذا كان يدور بخلد التلاميذ عندما سألو الرب يسوع هذا السؤال: مَنْ هو أعظم في ملكوت السموات؟ لماذا لم يكتفوا بأن عرفهم الرب أن أسماءهم قد كتبت في السموات؟^٢. قد نتساءل نحن أيضاً: مَنْ هو الأعظم في ملكوت السموات؟ إن السيد المسيح يوضح لنا أمرين: أن دخولنا ملكوت السموات يتوقف على رجوعنا لنصير كالأولاد في صفاتهم وميثا البراءة والبساطة.. أما مَنْ هو الأعظم فيتضح من إجابة الرب يسوع على تلاميذه.. أنه على قدر ما نتضع أمام الله والناس تكون العظمة.. فَمَنْ يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع.^٣

ويبدو أن التلاميذ لم يتعلموا الدرس كاملاً إذ نجدهم في مناسبة تالية سجلها البشير متى وذكر فيها أن التلاميذ انتهبوا الآباء والأمهات الذين قدّموا أولادهم ليسوع كي يضع يديه عليهم ويباركهم. فإذا بالرب يُعيد الدرس ثانية بقوله لهم: "دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات". ثم وضع يديه على الأولاد وباركهم. ليتنا نرجع ونصير مثل الأولاد لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات.^٤

وقد يراودنا السؤال: لماذا نرجع ونصير مثل الأولاد كشرط لدخول ملكوت السموات؟ وهنا أسوق مثلاً لعله يوضح هذا الأمر: تحوى الطبيعة جواهر ولآلي.. وللغثور عليها يبذل الناس الجهد والمال.. ولكن الإنسان بالتقدم التكنولوجي وبدون بذل جهد شاق أو تكاليف باهظة استطاع أن يصنّع ما هو شبيه بالجواهر والآلي.. وأصبح ميسوراً لأي شخص أن يمتلك ما يرغب منها ولكن شتان الفرق بين الإثنين فليس كل ما يلعبُ ذهباً. فأحياناً يغشون الجواهر الطبيعية بما صنعوا ويبدو كأنه شيء ثمين.. ولكن مَنْ يدقق النظر يكتشف أنه بلا قيمة تذكر.

إن الأفعال أو الأقوال التي تصدرُ من الأولاد يُمكنُ الحكم عليها بالبراءة والبساطة والنقاوة. ولكن السلوك الذي يصدرُ من البالغين يشوبه أحياناً الزيف والخداع والمراعاة. وهذه كلها صفات رديئة ولا تصدر إطلاقاً من الأولاد. والرب يسوع يُعطينا الأولاد لنقتدى بنقاوتهم.. إنهم في حداثتهم جواهر ولآلي ثمينة. تجد فيهم براءة فريدة. هم ملائكة يعيشون على الأرض. تأملهم وهم يتحدثون حين يجتمعون معاً. لا يغتابون ولا يدبرون مؤامرات لإلحاق الضرر بغيرهم. صادقون في التعبير عن نفوسهم. وفي سرد الحقائق تطمئن إليهم تماماً.. حتى في المحاكم نجد القضاة يتقون في شهادتهم. ويضعونها موضع الاعتبار في أحكامهم.. وألفاظهم لا تحتمل معنيين. فنحن نتحذّر من هؤلاء الذين يلعبون بالألفاظ ويخدعون بالكلام. ولكن الأولاد في حداثتهم ليسوا كذلك.

سمعتُ قصةً عن ولدٍ صغير كان يصغى لحديث أمه مع أبيه عن جارة لهم وصفوها أنّها تبدو بوجهين. جاءت هذه السيدة يوماً لزيارتهم في منزلهم. وإذا بالولد الصغير يقترب إليها ويحملق في وجهها باندهاش!.. فأخذته السيدة برقه واحتضنته وقالت له: يا بني لماذا تنظر إلي هكذا؟! هل لاحظت في شيئاً جديداً؟ فأجابها

استمع إلى الإنجيل

^١ إنجيل متى ١٨: ١ - ٤

^٢ إنجيل لوقا ١٠: ٢٠

^٣ إنجيل متى ٢٣: ١٢

^٤ إنجيل متى ١٩: ١٤

الصغير: إني أرى لك وجهاً واحداً وليس وجهين كما قالت والدتي عنك.. ليت حديثنا يكون بريئاً صادقاً كالأولاد. ونستجيب لما قاله السيّد المسيح: "ليكن كلامكم نعم. نعم. لا. لا. وما زاد على ذلك فهو من الشرير.." كما علمنا السيّد المسيح في موعظته على الجبل ونحيا ببساطة الأولاد لأنّ لمثل هؤلاء ملكوت السموات.¹

حدث يوماً أنّ شكا ولدٌ لأبيه من إعتداء ابن لجيرانهم أثناء لعبهم معاً.. فذهب الأب مصطحباً ابنه إلى بيت جاره.. احتدّ الحديث بين الجارين واستمرّت المشاجرة لوقتٍ طويل. ولم يصل الأبوان إلى حلّ لمشكلتهما وتخاصما ثم عاد الأب إلى بيته.. وفي طريق عودته نظّر حوله حيث كان الأولاد يلعبون. ولدهشته وجدّ ابنه مع ابن جاره يلعبان سوياً!. هناك شرط لازمٌ كي ندخل ملكوت السموات. وهو أن نعود ونصير مثل الأولاد.

ويتميّز الأولاد أيضاً بأنهم يثقون في والديهم أشدّ ما تكون الثقة.. قرأتُ قصةً عن فتاة كان أبوها بحاراً.. وكانت الفتاة بصحبته في السفينة حين هبت في أحد الليالي عاصفة هوجاء. أصاب الرعبُ والفرعُ ركابَ السفينة أما الصبيّة فكانت نائمة وقت اشتداد العاصفة. فأيقظها أحدُ الركاب قائلاً لها: هل أنت نائمة والسفينة في خطر؟! ألسّت خائفة من تلك العاصفة الشديدة والأمواج الهائجة التي لا أمان لها؟! فإذا بالفتاة الصغيرة تفتح عينيها وتلتفت حولها ثم تسأل: أما زال أبي يقدّم السفينة الآن؟! أجابها بنعم. فأجابته بقولها: دعني أنام!. هناك شرطٌ كي نعيش في طمأنينة وأمان وسلام رغم العواصف الشديدة والأمواج الهائجة. وهو أن نعود ونصير مثل الأولاد الصغار في تقّتهم واطمئنانهم طالما هم في أحضان والديهم متمتعين برعايتهم.

إنّ حلول السلام الدائم داخل قلوبنا يتوقف على مقدار ثقتنا وإيماننا بأبينا السماوي كلّ القدرة.. لقد ترنّم داود النبيّ في مزموره السابع والعشرين قائلاً: الربّ نوري وخلصي ممّن أخاف؟! الربّ حصن حياتي ممّن ارتعب؟! عندما اقترب إلى الأشرار ليأكلوا لحمي. مضايقي وأعدائي عثروا وسقطوا.. إن نزل على جيش لا يخاف قلبى. إن قامت على حربٍ ففي ذلك أنا مطمئن". أحياناً يندفع الكبار بالمال والجاه والسلطان.. ويستهلكون أعمارهم من أجل الحصول عليها لتسعدهم ثم يكتشفون أنّهم مخدوعون. أما الأولاد الصغار فلا يسعدهم سوى أحضان من يحبّهم الحبّ النقيّ الخالص. رأيت يوماً طفلاً ترك أحضان أمّه سعياً وراء أخرى لأنّها تفوق أمّه حسناً وجمالاً؟! ما حدّث هذا. ولا يُعقل أن يحدث.

جاءت فتاة إلى أمّها يوماً تتأمل محاسنها قائلة: أنت جميلة يا أمّاه.. كل ما فيك جميلٌ يا أمّاه ولكن.. ثم صمّنت فسألته أمّها: ولكن ماذا يا صغيرتي؟! أجابت الفتاة: كل ما فيك جميلٌ يا أمّاه عدا يديك. يدك مشوّهتان يا أمّاه. أجابت الأم: أتعلمين يا صغيرتي لماذا يداي مشوّهتان؟! كنت طفلة صغيرة واقتربت يا ابنتي يوماً من نارٍ مشتعلة. رأيتك يا ابنتي وإذا بشبابك مشتعلة بالنار. أردت إنقاذك من النار بأية وسيلة. فأسرعت إليك وأخذت أطفئ بهاتين اليدين النار المشتعلة في ثيابك. أطفأت النار وأنقذتك يا ابنتي وتشوّهت يداي. سأل الدمع من عيني الصغيرة واحتضنت أمّها.. ثم صاحت: كل ما فيك جميلٌ يا أمّاه.. ويدك المشوّهتان هما أجمل ما أراه فيك (يا أعزّ الحبايب) إلى قلبى. لقد أدركت الصبيّة اسمي معني للمحبّة في أمّها. ألا وهو البذل والتضحية.

قال الربّ يسوع: الحقّ أقول لكم. إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات. ولكن كيف نعود ونصير مثل الأولاد؟! ليس هذا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود". لقد تعجب نيقوديموس حين قال له السيّد المسيح: "الحقّ الحقّ أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله.. وأجاب نيقوديموس قائلاً ليسوع: "كيف يمكن أن يكون هذا؟!". إن اختبار الميلاد الثاني أي الميلاد من فوق هو السبيل الوحيد كي ندخل ملكوت السموات. فليتنا نتمتع بذلك الاختبار بعمل الروح القدس في قلوبنا.²

أدعوك أختي كي تشترك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. أتى إليك أنا الخاطئ. مؤمناً بتدبير الفداء للخلص والتحرير في شخص الابن الوحيد ربنا يسوع. أعني إلهي لأرجع وأعود مثل صبي صغير لأدخل ملكوتك. أرفع صلاتي في اسم ربنا يسوع واتقاً من استجابتك يا من وعدت بقولك: من يُقبل إلي لا أخرجّه خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

¹ إنجيل متى ٥: ٣٧

² سفر زكريا ٤: ٦ ، إنجيل يوحنا ٣: ٣